خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٠/٣

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبة الماضية ذكرت تقسيم الغنائم بعد غزوة حُنين، وفي هذا الخصوص هناك وقائع أخرى. فقد أمر رسول الله ﷺ بجمع جميع الغنائم بعد فتح حنين في الجِعْرَانَة، ثم توجه إلى الطائف. وعاد من الطائف إلى الجعرانة بعد شهر تقريبا. ولم يقسم أموال الغنائم على الفور حتى بعد وصوله، بل انتظر عددا من الأيام. ووفقًا لبعض الروايات، انتظر ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا، أملًا أن يعود بنو هوازن تائبين، فيعيد إليهم أهلهم وأموالهم ومواشيهم. فبينما كان النبي ﷺ ينتظرهم، كان بنو هوازن في حيرة من أمرهم، يتساءلون عما إذا كان قدومهم سيُجدي نفعًا أم لا. وبعد انتظار طويل حين رأى النبي ﷺ أنهم لا يعودون، وزع الغنائم والأسرى. وبعد أن انتهى ﷺ من التوزيع، جاءه وفد من بني هوازن مكون من أربعة عشر شخصًا من الكرام. كانوا قد أسلموا وأخبروه أن قبيلتهم بأكملها قد أسلمت أيضًا. ثم طلبوا منه الرحمة وقالوا: "يا رسول الله، نحن أهل شرف وعزة، والمصيبة التي حلت بنا ليست خافية عليك. أحسنْ إلينا فسوف يُحسن الله إليك"، وكان زعيم الوفد أبو صُرَد زُهَير بن جَروَل، خطيبا وشاعرا. فقد تحدث بأسلوب مؤثّر وجذاب، طالبًا الرحمة من النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، في الأسرى خالاتك وعماتك وأخواتك اللاتي ربَّينك وأطعمنك وسقينك. قال ذلك لأن النبي ﷺ قد قضى فترة رضاعته في قبيلة بني سعد وتربى فيهم، وكان والداه من الرضاعة من هذه القبيلة وهي فرع بني هوازن.

وأضاف: لو كنا قد أرضعنا مَلِك غسَّان حارث بن أبي شمر أو ملك العراق النعمان بن المنذر، ثم أصابتنا مثل هذه المصيبة، لرحمونا حتما. أما أنت فتفوق الجميع رحمةً وأنت جواد كريم. ثم أنشد قصيدة في مدح النبي ﷺ مُثنيًا عليه. وكان في الوفد عم النبي ﷺ من الرضاعة أيضا فتحدث هو الآخر بمشاعر مختلطة، وقال: رأيتك في طفولتك عندنا، وكنت خير الناس، ثم تشرفتُ بزيارتك في شبابك، ولم أجد أحدًا أكثر

منك نبلاً وكرامة. أنت خير متجسد وبحر من الجود والسخاء. نحن من أهلك ومن عائلتك، فأحسن إلينا، وسيجزيك الله على إحسانك هذا حتما.

استمع النبي ﷺ إلى توسلاتهم المؤثرة ولم يرفض طلبهم، بل قال: قد انتظرتكم طويلاً حتى تيقنت أنكم لن تأتوا. والآن، كما ترون، لم يتبقَ عندي إلا القليل من الأسرى، فقد تم توزيع الباقين. وأحب الأمور إليّ هي الأصدق. لذا، يمكنكم الاختيار بين شيئين: إما الأسرى من الرجال والنساء، وإما الأموال والأمتعة. فلكم أن تختاروا ما تريدون منهما، فقد انتظرتكم طويلا إذ كنت أريد أن أعيد إليكم كليهما. فلما لاحظ وفد بني هوازن الوضع، قالوا: نريد استعادة أسرانا، أي رجالنا ونساءنا. فقال النبي ﷺ: الأسرى الذين في حصتي وحصة بني عبد المطلب هم لكم فأحررهم وأسلّمهم لكم. أما بقية الأسرى، فبخصوصهم سأتحدث مع المسلمين الآخرين لأني قد وزعتهم عليهم. ثم أشار إليهم بحل وما الذي يجب عليهم من أجل ذلك، وقال: قوموا أمام الناس بعد صلاة الظهر وقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ لإطلاق سراح أبنائنا ونسائنا. وأعلِنوا أمام المسلمين أنكم أسلمتم وأنكم إخوتهم. فسوف أشفع لكم عند الناس. يظهر هنا أسلوب النبي ﷺ الكريم في الجود والكرم، حيث علّمهم طريقة إطلاق سراح الأسرى مع مراعاة إكرامِ بني هوازن وكرامة المسلمين أيضا لأن الأسرى كانوا قد صاروا ملكًا لهم. فقام الوفد بعد صلاة الظهر وقالوا ما أرشد إليه النبي ﷺ.

وبحسب رواية البخاري قام النبي ﷺ فقال موجها الخطاب في الناس: "إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ".

ثم أعلن ﷺ إعادة الأسرى الذين كانوا في نصيبه ونصيب بني عبد المطلب. كان الصحابة رضوان الله عليهم يحبون النبي ﷺ أكثر من أرواحهم وزوجاتهم وأولادهم ووالديهم، فقالوا:

"يا رسول الله، نعيد لبني هوازن أسراهم من أجل رضاك طواعية وسرورا. فسُرَّ النبي ﷺ بهذا الشعور منهم، لكنه ارتأى أن يتأكد من موافقة الجميع بهذا القرار طواعيةً، فقال: "لا أعلم مَن منكم وافق ومَن لم يوافق (لأن الجميع كانوا يتحدثون في المجلس العام) فارجِعوا وليأتني زعماؤكم وعرفاؤكم لبيان موقف قومكم". فأعرب الجميع لعرفائهم عن رضاهم بإعادة الأسرى بطيب خاطر، فأخبر عرفاؤهم النبي ﷺ بذلك، وهكذا مَنَّ النبي ﷺ هذه المنة العظيمة على هؤلاء القوم الأعداء وأعاد لهم أسراهم كلهم دون أي مقابل، كما راعى النبي ﷺ مشاعر أصحابه المخلصين المحبين، ووعدهم بإعطاء ستة إبل مقابل كل أسير.

وقدّم سيدنا عمر رضي الله عنه نموذجا رائعا لحبه وطاعته لرسول الله ﷺ، فإنه لم يكن حاضرًا عند إعلان إطلاق سراح الأسرى، وعندما عاد رأى العبيد يرقصون فرحًا، فسأل عن ذلك فقيل له إن النبي ﷺ قد أطلق سراح

جميع الأسرى، فلم ينتظر عمر ﷺ لتحري الأمر بل قال على الفور لابنه: "يا عبد الله، اذهبْ وأعتِقْ جاريتي التي وهب لي إياها رسول الله ﷺ."

ولم يكتفِ النبي ﷺ بإطلاق سراح أسرى بني هوازن دون مقابل، بل كساهم ثيابًا، وأوصى قائلاً: "فَلَا يَخْرُجُ الْحُرُّ مِنْهُمْ إِلَّا كَاسِيًا"، أي لا يخرج أي محرَّر منهم دون أن يرتدي ثوبًا جديدًا. وتنفيذا لهذا الأمر، أرسل الصحابيَّ بُسْرَ بنَ سفيان لشراء أردية جديدة، فجاء بها وأُعطي كل أسير ثوبًا جديدًا.

وفي رواية أن ثلاثة أشخاص رفضوا إعادة أسراهم. فقال الأقرعُ بنُ حابِس: "أما أنا وبنو تميم، فنرفض." وقال عُيَينةُ بنُ حِصنِ الفَزاريُّ: "أنا وقبيلتي بنو فَزارة نرفض." وقال العباسُ بنُ مِرْداس: "أنا وبنو سُلَيم لن نعيد الأسرى." فلما سمع بنو سُليم كلام زعيمهم رفضوا الانصياع له وقالوا: "كل ما نملكه فهو لرسول الله ﷺ".

وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال إن جميع أسرى بني هوازن أحرار، ومَن لا يرغب في تحرير أسيره فليعتقْه وسنعطيه ستة جِمال فتيّةٍ من بيت المال. فرضي بذلك كل أولئك الذين كانوا مترددين في إعادة الأسرى، وهكذا حُرّر ستة آلاف أسير لبني هوازن.

وفي بعض الروايات أن عُيَيْنَةَ بنَ حِصْن الفَزاريَّ رفض ردَّ أسيره، فذاق خزيا كبيرا جراء هذا العصيان وحُرم من الخير والبركة. وردَ أن النبي ﷺ لما رأى أن الجميع أعادوا أسراهم إلا عُيينة، قال: "كتب الله له الخسران". وكان قصة أسيره أن عُيينة أخذ امرأة عجوز كأسيرة بدلاً من امرأة شابة، وعندما سئل عن ذلك قال إن أهلها عندما سيأتونني لفدائها سيدفعون لي فدية كبيرة لأن لها أولادًا كثيرين.

فلما أُطلق سراح جميع الأسرى ورفضَ عُيينةُ تحرير هذه العجوز، جاءه ابنها وقال: سرّحْ أُمَّنا ولك مئة ناقة. فظن عيينة أن الابن سيزيد في فدائها، فرفض العرض. فعاد الابن ولم يرجع. وبعد قليل أدرك عيينة أن الابن لن يعود، فذهب إليه بنفسه وقال: "هل ستعطيني ما عرضته عليّ من الإبل؟" قال الابن: "سأعطيك الآن خمسين ناقة فقط." فظل عيينة يستزيد وظل الفتى ينقص من عَرضه حتى وصل إلى عشرة إبل. وأخيرًا، قال عيينة: "خذ هذه العجوز مجانًا. فقال الفتى لعُيينة: لقد أمر رسول الله ﷺ بتحرير كل أسير وكساه ثوبًا، ولكن هذه العجوز حُرمت من الثوب، فأعطِها ثوبًا." فقال عيينة: "ليس عندي شيء، وأنا جد فقير. لقد قال ذلك طمعا ولكنه خسر القضية، إذ لم يزل الفتى مصرا ومَا فَارَقَهُ حَتّى أَخَذَ مِنْهُ شَمْلَ ثَوْبٍ، فرجع مع أمه الأسيرة وثوب لها، ولما ولّى قال إنّك لَغَيْرُ بَصِيرٍ بِالْفُرَصِ."كما ظل أصحاب عيينة يلومونه ويوبخونه. لقد جعله طمعه محروما تماما.

وورد عن إسلام مالكِ بنِ عوفٍ، زعيمِ بني هوازن أن النبي ﷺ سأل وفدَ بني هوازن عن زعيمهم مالكِ بن عوف: أين هو؟ قالوا إنه في الطائف مع بني ثقيف. قال ﷺ: "أبلِغوه أنه إذا أتى مطيعًا ومقرًّا بطاعتي، سأعيد إليه أهله وعياله الذين كانوا في الأسر".

وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ كان قد أمر بألا يُوزَّع أهله وعياله على أحد كعبيد، فأُقيموا في مكة عند أم عبد الله بنت أبي أمية. فما لبث بنو هوازن أن أبلغوا مالكًا بذلك، فاستعدّ على الفور للقدوم إلى النبي ﷺ، لكنه خاف بني ثقيف أنهم إن علموا بذهابه إلى محمد ﷺ قد يحبسونه. فجهز حصانًا وجملا، وخرج من الطائف ليلًا حتى وصل إلى الجعرانة حيث مثل بين يدي النبي ﷺ. فأعاد النبي ﷺ إليه أهله وعياله، وأعطاه مائة ناقة كهدية. فلما رأى مالك هذا الجود والكرم، أسلم وظل مخلصًا في إسلامه طوال حياته. وعينه النبي ﷺ فيما بعد حاكمًا على مسلمي بني هوازن وقائدًا لجيشهم.

كان هذا هو مالك بن عوف الذي جمع بني هوازن وثقيف وغيرهم من القبائل لمحاربة المسلمين وإبادتهم، وكان متعطشًا لدم النبي ﷺ. لكن أخلاق النبي ﷺ وعفوه وكرمه تجلت في أنه ﷺ كان حريصا على هداية مالك. فلما جاء مالك طالبًا الهداية، لم يكتفِ النبي ﷺ بالعفو عنه فحسب، بل وأكرمه بمائة ناقة، وهي ثروة عظيمة في ذلك الزمان.

من بين أسرى هذه الحرب كانت الشيماء، وهو لقبها، واسمها الحقيقي حُذافة بنت الحارث السعدية. عندما أُسرت، قالت لمن أسروها: أنا أخت نبيكم محمد ﷺ من الرضاعة، لكن الصحابة لم يصدقوها. فأخذها بعض الأنصار إلى النبي ﷺ. فقالت: يا محمد، أنا أختك من الرضاعة. فسألها النبي ﷺ: "هل لديك علامة؟"، فأرته علامة أسنان وقالت: عضضتني حين كنت أحملك في حجري في الطفولة، (لا بد أنه تذكر هذا الحدث بعد ذلك). قالت كنا نرعى الماعز، وأبوك من الرضاعة هو أبي الحقيقي، وأمك من الرضاعة هي أمي الحقيقية. يا رسول الله، تذكرْ أني كنت أحلب لك الماعز. فعرفها النبي ﷺ من العلامة، فقام وبسط لها رداءه وقال: "اجلسي عليه". ورحب بها، ودمعت عيناه. سألها عن والديها، فأخبرته أنهما قد توفيا. فقال النبي ﷺ: "إن شئتِ فابقي معنا، فستلقين منا الإكرام والمحبة، وإن شئتِ عدت إلى قومك، وسأصل رحمك". فقالت: أريد العودة إلى قومي. فأسلمت، فأعطاها النبي ﷺ ثلاثة عبيد وجارية، وأمر بإعطائها ناقة أو ناقتين. وكان النبي ﷺ حينها في حنين، فقال لها: "اذهبي إلى الجعرانة وكوني مع قومك، فإني ذاهب إلى الطائف". فذهبت إلى الجعرانة، فلما رجع النبي ﷺ من الطائف التقى بها هناك، وأعطاها غنما وشياها. وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ لها: "اطلبي ما شئتِ يُعطَ لكِ، واشفعي فيمن شئتِ تُقبل شفاعتك." فشفعت الشيماء (أخته من الرضاعة) في رجل من قومها بني سعد يُدعى بِجاد، كان قد قتل مسلمًا وأحرقه ثم فر هاربا، لكن الصحابة أمسكوه. فلما توسلت الشيماء في عفوه، عفا عنه النبي ﷺ. لم يُذكر هنا ولكنني موقن أن النبي ﷺ يكون قد أدى دية القتيل أيضًا بعد ذلك.

وورد في رواية أبي داود أن أم النبي ﷺ من الرضاعة أيضًا التقت به في الجعرانة. (سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين). لكن يُقال إن سند هذه الرواية ضعيف. ولم تلتق به أمه. من المحتمل أن يكون لقاء النبي ﷺ بأمه من الرضاعة قد حدث في مناسبة أخرى، أو أن الراوي أخطأ، لأن الروايات العامة تشير

إلى أن أمه من الرضاعة توفيت قبل غزوة حنين.

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، أعلن أهل مكة أن من يأتي بمحمد ﷺ حيًّا أو ميتًا سيعطى مائة ناقة جائزةً. (هذا حدث معروف قد تكرر ذكره سابقا) فسمع سُراقة بن مالك بهذا الإعلان وتعقب النبي ﷺ حتى اقترب منه. لكن الله تعالى حمى النبي ﷺ بشكل إعجازي، وأعجز سراقة. حينها قال له النبي ﷺ: يا سراقة، كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟" وطلب سراقة من النبي ﷺ أمانًا خطيا. وفي الجعرانة، حضر سراقة حاملاً ذلك الأمان وأسلم.

في هذه المناسبة، ورد ذكر نذر سيدنا عمر ﷺ. عرض سيدنا عمر ﷺ على رسول الله ﷺ قائلًا: يا رسول الله، في عصر الجاهلية نذرتُ أن أعتكف يومًا في المسجد الحرام، فماذا تقول؟ فقال النبي ﷺ: اذهب وأوفِ بنذرك. فذهب سيدنا عمر ﷺ وأتم نذره.

كان النبي ﷺ لا يزال في الجعرانة، إذ قرر في إحدى الليالي أداء العمرة، فتوجّه من الجعرانة إلى مكة من أجل العمرة. ووفقًا للروايات، ذهب ليلًا وعاد في نفس الليلة، حتى ظن الناس أنه لم يذهب إلى أي مكان. لأنه ذهب لوقت قليل جدا.

ورد عن عودة النبي ﷺ إلى المدينة أنه عندما بقي اثنا عشر يومًا من شهر ذي القعدة، وكان ذلك يوم الخميس، بدأ النبي ﷺ رحلة العودة إلى المدينة. وقبل ذلك، كان قد ولّى عتّاب بن أَسيد ﷺ على مكة، وترك معه سيدنا مُعاذ بن جَبَل ﷺ وسيدنا أبو موسى الأشعري ﷺ لتعليم الناسِ القرآنَ والدينَ.

أخذ النبي ﷺ معه بعض الحيوانات ليعطيها للذين يلتقي بهم في الطريق. انطلق ﷺ من وادي الجعرانة مروراً بسَرْف ثم وصل إلى مر الظَهران. وبعد رحلة استمرت تسعة أيام وصل إلى المدينة المنورة. وكان قد بقي ثلاث ليالٍ من ذي القعدة. استغرقت كل هذه الحملات وفتح مكة وفتح هوازن والهجوم على أهل الطائف شهرين وستة عشر يوماً.

يثير المستشرقون اعتراضات على فتح مكة وغزوة حُنين وغزوة الطائف وغيرها. ومع أنهم لم يجدوا شيئاً حقيقياً يستحق الاعتراض عليه، إلا أن لديهم اعتراضاً أو اثنين سأذكرهما.

يقول المستشرق المعاصر ويليام مونتغمري مونتجمري وات ما معناه: باستثناء بعض النساء اللواتي أُعطِين لكبار الصحابة، وُضعت بقية الغنائم والأسرى في الجعرانة تحت إشراف مسعود بن عمرو الغفاري.

ويقول السير ويليام موير ما معناه: من بين الأسرى، ثلاث نساء جميلات أُحضرن إلى محمد (ﷺ)، فأعطى واحدة منهن لعليٍّ، وأخرى لعثمان، وثالثة لعمر (ﷺ). أعطى عمر المرأة التي كانت في نصيبه لابنه عبد الله. أما الاثنتان الأخريان فلا يُعرف ماذا حدث بهما.

على أي حال، يقول هذا المستشرق في بيانه تاريخ النبي ﷺ: إن هذا يكشف تاريخ محمد (ﷺ) بعُمق، بأنه أعطى هؤلاء الفتيات الأسيرات لمن كان أحدهم والد زوجته واثنان منهم أزواج بناته، أي أنه أكرم

أقاربه بإعطائهم أولاً. حاول المعترض لتقديم هذا الحادث بصورة اعتراض وبطريقة خبيثة، لكن ليس في قوله أيّ وزن لأنه لم يرد ذكرُ تقسيم الأسرى على هذا النحو في غزوة حنين، لا في السيرة الحلبية ولا في الطبقات لابن سعد بل ذُكر توزيع الأموال فقط.

وقد جاء في الطبقات لابن سعد أن المسلمين حصلوا في ذلك اليوم على ستة آلاف أسير. جاء المشركون بعد إسلامهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا نبي الله، أنت خير الناس. لقد أسرتَ أموالنا ونساءنا وأطفالنا. فقال النبي ﷺ للمسلمين: "من كان عنده شيء منهم وكان راضيا برده بطيب خاطره فذلك خير، ومن لم يرضَ فليسلّمه إلي وسيكون ديناً علينا. وإذا حصلنا على شيء سنسدد هذا الدين". قالوا: يا نبي الله، نحن راضون وموافقون. فقال ﷺ: "لا أعلم، قد يكون بينكم من لا يرضى بذلك (كما ذكرت من قبل). فأرسِلوا ممثليكم ليخبروني بهذه الموافقة". فأُرسل إليه ممثلون أكدوا أن الناس راضون وموافقون.

لقد سبق البيان بالتفصيل من خلال كتب التاريخ الموثوق بها، عن ترتيبات تتعلق بأسرى غزوة حنين وإطلاق سراحهم وأسوة النبي ﷺ المبنية على الرحمة.

السير ويليام موير على علم تام بهذه الحقيقة التاريخية، ولهذا السبب لم يستطع الامتناع عن الاعتراف بهذه الحقيقة رغم بيانه الأحداث بأسلوبه الاعتراضي. فكتب ما معناه:

لقد أُطلق سراح جميع أسرى حنين. إذن، إن بيانه هذا بحد ذاته يدحض اعتراضه. إن دراسة وقائع هذه الغزوة توحي بجلاء أن الأسرى سُلّموا في البداية إلى الصحابة للإشراف عليهم. لكن من الواضح أيضاً أنه بعد وضع الترتيبات النهائية، أُرسلوا جميعاً إلى الجعرانة تحت إشراف مسعود بن عمرو الغفاري. وعندما عاد النبي ﷺ من الطائف وتفاوض مع قبيلة هوازن، أطلق ﷺ سراح كل أسير - بسبب رحمته- كان لدى كل شخص. كل هذا مذكور في البيان الذي ذكرته من قبل. والمستشرق المعروف مونتجمري وات على علم تام بهذه الحقيقة، لأنه يكتب في المكان نفسه ما معناه: يبدو أن الذين سمعوا بهذه الأحداث بعد فترة طويلة من محمد (ﷺ) بالغوا فيها، أو من المحتمل أن تكون هذه القصص مختلقة ومصطنعة.

وإن اعتراضا آخر أثاره مارجوليس حول مالك بن عوف النضري، زعيم الطائف قائلاً: إنه (أي مالك بن عوف) أُجبر على الإسلام قسراً مع أنه لا أساس مطلقا لاعتراض مارجوليس هذا، بل هو مثال على موقف المستشرقين العام تجاه سيرة الرسول الكريم ﷺ، وكيف أنهم يُفضون لون الجبر والإكراه حتى على حادث تظهر فيه رحمةُ "رحمةٍ للعالمين"، الأمر الذي ليس له أي علاقة بالحقيقة على الإطلاق.

تفصيل هذه الواقعة مذكور في سيرة ابن هشام أن النبي، الرحمة للعالمين ﷺ قَبل طلب وفد هوازن حين طلبوا الرحمة منه ﷺ وأعاد لهم أسراهم وأموالهم، كما ذُكر سابقاً، وتذكّر ﷺ أيضاً مالك بن عوف الزعيم الموجود في الطائف، فسأل عنه: "ما أخبار مالك بن عوف؟" قيل له: إنه مع ثقيف في الطائف. فتجلت

رحمة النبي ﷺ مرة أخرى من أجل مالك بن عوف، وقال ﷺ: "اذهبوا وأخبروه أنه إذا أسلم، سيُعاد له أهله وأمواله"، وليس هذا فحسب، بل قال: "وسيُعطى مائة من الإبل أيضاً."

الأمر الجدير بالملاحظة هنا هو أن النبي ﷺ كان المنتصر، ولا يحتاج إلى أي غرض أو فائدة من مالك بن عوف، ولا يتحمل أي مسؤولية تجاه مالك بن عوف بموجب أي قانون حتى بقدر ذرة، ولكن بدافع رحمته الأزلية، أرسل له رسالة بقبول الإسلام ووعده بإعادة أهله وأمواله ومنحِه الإبل.

ويبدو أن قلب مالك كان قد مال إلى الإسلام من قبل، فلما بلغه رسالة النبي ﷺ، انطلق للقائه. فخرج من الطائف إلى الجعرانة أو مكة والتقى بالنبي ﷺ. وبما أنه جاء مسلمًا الآن فأعاد إليه النبي ﷺ أهله وماله، ومنحه مائة جمل إضافية، فأسلم مالك بن عوف. وأثناء إسلامه، أنشد أبياتًا، منها هذا البيت:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ   فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ

هذه كانت أحداث حنين كلها. وسيتم لاحقًا، إن شاء الله، سرد أحداث باقي السرايا. أما الآن فأود أن أذكر شخصين متوفَّين، وسأصلي عليهما صلاة الغائب بعد الجمعة.

الأول هو الدكتور لئيق أحمد فرخ. كان يعيش في كندا وتوفي هناك. قضى سنوات عديدة كطبيب واقف للحياة، يخدم في إفريقيا. توفي في الأيام الأخيرة عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عامًا. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان الفقيد موصيًا أيضًا. وترك خلفه زوجته وابنًا واحدًا وابنتين.

لقد أُرسل إلى غانا في عام ١٩٧٤م تحت إشراف مؤسسة مجلس نصرة جهان، واستمر يخدم هناك في المستشفى المركزي حتى عام ١٩٧٨م.

بعد إكمال ثلاث سنوات من الوقف، طلب العودة بسبب تدهور صحته، لكن الخليفة الثالث رحمه الله أمره أن يعمل لمدة عام آخر. كانت حالات مرضية معقدة وصعبة تُحال إليه للعلاج. وكان المرحوم يحوّل بعض هذه الحالات إلى مستشفيات حكومية أخرى، لكن المريض كان يصر على أنه يريد العلاج من مستشفى الأحمدية ومن طبيب أحمدي فقط. فقد قام بإجراء العديد من العمليات الجراحية وكانت ناجحة بفضل الله تعالى، مع أن الأمل في نجاحها كان ضئيلًا جدًّا.

على أي حال، واجه حالة مرضية صعبة تتعلق بفتق مختنق، وكانت حالة معقدة للغاية. دعا الله تعالى فوفقه الله للقيام بها بكل نجاح.

ثم أرسل مجددًا في عام ١٩٨٤م إلى جامبيا في إفريقيا، حيث وقف نفسه وظل يخدم حتى عام ١٩٩٣م بروح الوقف والتفاني العظيمة.

كتب ابنه عنه، وكتب كلامًا صحيحًا جدًّا، بأنه كان رجلًا هادئ الطباع، كثير الدعاء، متواضعًا، مثالًا للصبر والثبات.

قضى حياته كلها في خدمة الإنسانية. خلال فترة الوقف، وخاصة في قرية أنجوارا الصغيرة والمتخلفة في جامبيا، كانت الظروف صعبة للغاية. لم يكن هناك طعام، ولا كهرباء، ولا ماء، وكانت الحرارة شديدة، لكنه استمر في الخدمة هناك.

يقول ابن المرحوم: كنت مريضًا، وكانت تقرحات تظهر في قدمي، فكان والدي يحملني إلى المدرسة. كان يأخذني إلى هناك دون أن يشتكي أبدًا.

ثم يقول: كان من دواعي سعادتنا الكبيرة أن حضرة الخليفة الرابع للمسيح رحمه الله تعالى زارنا في عام ١٩٨٨م أثناء جولته إلى هناك.

ذهب حضرته خصيصًا إلى بيتهم. لم يكن هناك كراسي للجلوس في البيت، لكن حضرته قال: سأتناول الطعام معهم. وطلب من بقية الطاقم الخروج، وكان هذا شرفًا عظيمًا بالنسبة لهم.

كان يروي حادثة من فترة عمله في لاهور، قائلًا: انخفض ضغط دمي بشكل كبير، فاستلقيت على الطاولة، وشعرت أن الوفاة اقتربت. (الأطباء أحيانًا يبالغون في مخاوفهم ولقناعتهم أنهم يعرفون حالتهم)، لكن في تلك اللحظة سمعت صوتًا يقول: لم يحن الوقت بعد، ستذهب إلى كندا وتعود. وقد حقق الله تعالى هذا الأمر بأعجوبة بعد سنوات عديدة.

ومرة عندما عاد من غانا في عام ١٩٧٨م، ذهب ضمن وفد الجماعة للقاء حضرة الخليفة الثالث رحمه الله تعالى. فقال له الخليفة: لقد عدت، إلا أنني سأرسلك مرة أخرى إلى حيث كنت. يقول: لم أفهم ذلك، لأنني لم أكن أنوي الوقف مرة أخرى. لكن في عام ١٩٨٣م، وصلني خطاب من سكرتير مؤسسة نصرت جهان في ربوة يفيد بأن تعييني في مكان ما قيد النظر، فيجب أن أحضر، وبالتالي في عام ١٩٨٤م، أرسلني حضرة الخليفة الرابع للمسيح رحمه الله تعالى إلى جامبيا في إفريقيا مرة أخرى. وكان هذا أمرًا عجيبًا بالنسبة لي، كأنه معجزة، حيث أن خليفةً قال شيئًا وخليفة آخر أكمله.

كان السيد وهاب بن آدم المرحوم، الأمير السابق لغانا، يقول: إن الدكتور كان يبدأ بأداء صلاة النفل فورًا كلما رأى حالة مريض حرجة.

لقد عشت أنا أيضا في غانا خلال فترة إقامته هناك، وقضيت وقتًا معه، ورأيته بنفسي أنه كان إنسانًا نبيلًا للغاية، متواضعًا، ومكرسًا للخدمة. كان يحترم الواقفين كثيرًا. كان هو وزوجته مضيافين بشكل استثنائي، بل كانا مفعمين بروح الضيافة. كان يتحلى بصفات نادرة قلما توجد في الناس.

يقول السيد داود حنيف، الذي يشغل الآن منصب مدير جامعة كندا وكان أمير الجماعة في جامبيا آنذاك: كان المرحوم دائمًا مستعدًا لخدمة الإنسانية. لا يبالي إن كان الوقت ليلا أو نهارا، بل كان يرى فقط إن كان أحد في محنة، فيسارع لخدمته. المنطقة التي عُيّن في مشفى فيها كانت منطقة صغيرة جدًا، وكان يتعين عليه ركوب سفينتين للوصول إلى هناك، وكانت إقامته في مخزن قديم مهجور تم تنظيفه وتحويله إلى منزل،

لكنه عاش هناك بسعادة كبيرة. لم تكن هناك كهرباء ولا ماء ولا هاتف. كان يتعين عليه جلب الماء بنفسه من البئر أو النهر. كان الناس هناك يستخدمون الشموع أو الفوانيس. كان يُجري العمليات الجراحية عادةً في ضوء الشمس خلال النهار، وكان يعقّم أدوات الجراحة على موقد يعمل بالغاز. استمر في تقديم خدماته في مثل هذه الظروف. أما اليوم، فالأطباء لن يصدقوا هذا، ولن يعرفوا حتى كيف كان يتم ذلك.

ذات ليلة أثناء إقامته هناك حصلت سرقة في أحد البيوت، وعند صدور الضجيج حاصر الناس اللصوص، فهاجم أحدهم بسلاحه شخصا منهم فشجَّ رأسه، فدعي الدكتور على الفور فأجرى له جراحة على ضوء الشمعة والمصباح الذي يعمل بالبطارية، وهو أمر لا يُتصور اليوم، فكانت العملية ناجحة بفضل الله وسلِم الجريح.

ذات يوم جاءه رجل فقير فقال له إن قريتي بعيدة من هنا ولا تتيسر المواصلات ولا أستطيع إحضار المريض هنا، أرجو أن تأتي معي وتفحص المريض بفضلك. فقام وانطلق معه على الفور، وفحص المريض وعالجه فتحسن. حين علم بذلك عضو البرلمان في تلك المنطقة زاره في عيادته وشكره على ذلك، وبعد ذلك أيضا كلما جاء المنطقة قابله حتما، وكان يقول له أنتم فقط تخدمون البشرية في الحقيقة. غفر الله له وتغمده بواسع رحمته ورفع درجاته وحفظ أهله وألهمهم الصبر والسلوان، آمين.

الجنازة الثانية للسيد حميد أحمد غوري من حيدر آباد الهند، فقد توفي مؤخرا عن عمر يناهز أربعة وسبعين عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان موصيا وترك وراءه زوجة وابنة وأربعة أبناء وأحفادا وحفيدات. وجميع أولاده يخدمون الجماعة كلٌّ في مجال معين، كان المرحوم الأخَ الأصغر للسيد إنعام غوري الناظر الأعلى في قاديان، ووالدَ السيد صمد غوري الداعية الأحمدي ورئيس الجماعة في ألبانيا. كان المرحوم يداوم على الصوم والصلاة وقيام الليل، وكان يحب القرآن المجيد حبا كبيرا، حيث كان يقرأه دوما ويسعى لحفظه أيضا. كان بعد أداء النوافل قبل صلاة الفجر يطرق أبواب الأحمديين في حارته في طريقه إلى المسجد. وتشرف بالحج والعمرة أيضا، وكان يستجيب لكل أوامر الخلافة ويسعى للعمل بها شخصيا أولا مهما كانت صغيرة أو كبيرة، لكي ينصح بذلك الآخرين لأنه كان يلقي الخطب في الجماعة. فكان يوفَّق بذلك بفضل من الله.

كان يداوي بالعلاج بالمثل، وادخر عنده أدوية ليقدمها للمرضى مجانا، وكان سباقا في التضحية بالمال، لقد قال أحد أقاربه إنه لم يستطع دفع التبرعات لفترة، فذهب المرحوم إلى سكرتير المال ودفع تبرعات ذلك القريب من جيبه ثم نبهه إلى أن لا يقصر في ذلك ويدفع التبرعات أولا. كان يهتم بصلة الرحم كثيرا، وكان يجمع الأقارب مرارا في بيته ويشاركهم في الأفراح والأتراح، وكان يحترم كثيرا المبعوثين من المركز والدعاة، لقد خدم الجماعة بصفته نائبا لأمير حيدر آباد وسكرتيرا لتعليم القرآن ورئيسا للجماعة المحلية، وناظما لمجلس أنصار الله في المنطقة ونائبا لرئيس مجلس أنصار الله في الهند الجنوبية. باختصار له خدمات كثيرة للجماعة،

فقد حضر إحدى الجلسات السنوية في بريطانيا أيضا، غفر الله له ورحمه. ابنه الداعية في ألبانيا لم يستطع حضور صلاة الجنازة، ألهمه الله الصبر والسلوان، سأصلي عليهما الجنازة بعد الصلاة.

****